

الإخلاقيات الطبية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية: تحليل مقاصدي لأبرز الإشكاليات

عبد الرحيم محمد علي رمضان
الهيئة الليبية للبحث العلمي، ليبيا

Medical Ethics in Light of the Objectives of Islamic Sharia: A Maqasid Analysis of the Most Prominent Problems

Abd Alrheem Mohammed Ali Ramadan
Libyan Authority for Scientific Research, Libya

*Corresponding author

abdurahimali309@yahoo.com

*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 2025-04-19

تاريخ القبول: 2025-04-15

تاريخ الاستلام: 2025-02-05

الملخص

مع تطور التقنيات والقضايا الطبية، يواجه الطب المعاصر إشكاليات أخلاقية متزايدة. وهذا يُبرز أهمية وجود منظومة أخلاقية متينة ومتجددة. تُجري هذه الورقة تحليلاً لتحديد مدى توافق الأهداف الأخلاقية الإسلامية مع المبادئ الحديثة في الطب، مثل الاستقلالية والإحسان والعدل وعدم الإضرار. تستعرض هذه الدراسة الأحكام الشرعية الحديثة وممارسات الطب الحديث المتعلقة بهذه الأهداف من خلال الجمع بين التحليل والاستقراء والاستعانة بالمصادر الإسلامية. تكشف النتائج أن مقاصد الشريعة الإسلامية تُمثل بوصلة للأخلاقيات في الطب، ووسيلة لاتخاذ قرارات تُوازن بين مصلحة الجميع وسلامتهم وتقدم العلم واحترام أحكام الشريعة. تقترح الورقة إدراج أهداف الشريعة الإسلامية في مناهج السياسة الصحية للأطباء والمرضى في الكليات، والتعاون بين الفقهاء والأطباء لاحترام كرامة الإنسان وتحقيق العدالة في الطب.

الكلمات المفتاحية: مقاصد الشريعة الإسلامية، الاخلاقيات الطبية، العدالة الصحية، حفظ النفس، زراعة الأعضاء.

Abstract

With the advancement of medical technologies and issues, contemporary medicine faces increasing ethical dilemmas. This highlights the importance of a robust and revitalized ethical framework. This paper analyzes the compatibility of Islamic ethical goals with modern medical principles, such as autonomy, benevolence, justice, and non-maleficence. This study reviews modern Shari'a rulings and modern medical practices related to these goals by combining analysis, induction, and reference to Islamic sources. The findings reveal that the objectives of Islamic law (maqasid al-Shari'ah) serve as a compass for medical ethics and a means for making decisions that balance the interests and safety of all, the advancement of science, and respect for Shari'a rulings. The paper proposes the inclusion of Islamic Shari'a objectives in health policy curricula for physicians and nurses in colleges, and the collaboration between jurists and physicians to respect human dignity and achieve justice in medicine.

Keywords: Objectives of Islamic Sharia, medical ethics, health justice, life preservation, organ transplantation.

المقدمة

مع تنامي التطورات الطبية، برزت قضايا مثل زراعة الأعضاء، واتخاذ القرارات في نهاية الحياة، والتلقيح الاصطناعي، والطب الوراثي، من منظور أخلاقي لأول مرة. ونتيجة لهذه القضايا، برزت

تساؤلات مهمة حول كرامة الإنسان، وحدود الرعاية الطبية، وحقوق الإنسان مقابل واجباته في الطب. وضعت المجتمعات الغربية قواعد أخلاقية لا تستند إلى دين واحد، ولكن نظرًا للاختلاف الفريد بين الثقافات والأديان المختلفة في المجتمعات الإسلامية، أصبح من الضروري الآن أن يكون لديها نظام مستوحى من تقاليدنا.

ولهذا السبب، تتكامل الشريعة الإسلامية بشكل شامل لتكون أساسًا راسخًا للقرارات الطبية. ومن خلال تحديد هذه الأهداف، يسعى التشريع إلى حماية رفاهية الإنسان في الحاضر والمستقبل، والحفاظ على أركان الحياة الأساسية: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وختامًا، فإن فهم أخلاقيات الطب في ضوء هذه الأهداف الثلاثة يتطلب بناء نهج أصيل وعصري يوفق بين الاكتشافات العلمية والقواعد الإسلامية. وتبدأ الورقة بطرح السؤال التالي: ما مدى توافق أهداف الشريعة الإسلامية مع احتياجات أخلاقيات الطب في عصرنا الحالي؟ هناك مجموعة متنوعة من الأسئلة الإضافية المتعلقة بهذا الموضوع:

- كيف ترتبط مبادئ أخلاقيات الطب الحديثة بمقاصد الشريعة الإسلامية؟
 - كيف يمكن لمقاصد الشريعة الإسلامية أن تدعم حكومة التقنيات الطبية المتنازع عليها؟
 - ما هي المشكلات التي تترتب على إدراج هذه المقاصد في السياسات الصحية؟
- يختبر هذا البحث الروابط بين مقاصد الشريعة وأخلاقيات الطب من خلال نهج يقارن بين مبادئها ومذاهبها الفكرية وأعمالها الأصلية وآراء المشرّعين. يهدف هذا البحث إلى تعزيز الحوار بين الطب والدين، ودعم استخدام نظام قائم على الشريعة الإسلامية قادر على مواكبة تحديات عصرنا.

الدراسات السابقة

شهدت العقود الأخيرة اهتمامًا متزايدًا بأخلاقيات الطب من منظور الشريعة الإسلامية، لا سيما مع تزايد الحاجة إلى الخبراء للتعامل مع المواقف الجديدة والمثيرة للجدل في مجال الطب. وقد تناول الباحثون هذه المسائل من منظور قانوني أصولي، بالإضافة إلى مقارنة الشريعة الإسلامية بالأنظمة الأخلاقية الأخرى، ودراسة كيفية تطبيقها عمليًا.

ومن الدراسات المهمة في هذا الموضوع كتاب الدكتور محمد علي البار "الجهود الدولية في مكافحة الاتجار بالبشر". فقد شرح فيه وجهات النظر حول الأخلاقيات في الإسلام، والتي تهدف إلى الحفاظ على سلامة الحياة، وأشار إلى اختلاف أخلاقيات الطب الإسلامية عن أخلاقيات الليبرالية الغربية¹. وأكد الدكتور الجدعاني وآخرون في دراسته الصادرة عام 2015 بعنوان "السر الطبي بين الأطباء والفقهاء"، على أن المقاصد الخمسة، والإجهاض، وزرع الأعضاء، والإجراءات الوقائية الصحية، ينبغي تنظيمها وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية².

في إطار مقارنة، تبحث دراسة "السياسة الجنائية لمواجهة الاتجار بالأعضاء البشرية دراسة تحليلية تأصيلية مقارنة في التشريعين المصري والفرنسي" (مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية 2022)، في كيفية اختلاف التقاليد الإسلامية والغربية، وتناقش العدالة والرحمة وحماية الرفاه اليومي³. ولأسباب عملية، أوضحت أحكام مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دوراته الأولى مجموعة متنوعة من المواضيع الطبية الحديثة، بما في ذلك الاستنساخ والتلقيح الاصطناعي وزراعة الأعضاء. وقد بُحث أثرها وفقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية⁴.

ركزت معظم الأبحاث على الجانب القانوني أو الطبي فقط من هذه المجموعة من الأدبيات، بدلاً من النظر فيهما معًا. يحتاج هذا المجال إلى مزيد من البحث الذي يجمع بين النظرية والتطبيق، ويستخدمهما بشكل مباشر في الأخلاقيات.

1 محمد يحيى مطر وآخرون. الجهود الدولية في مكافحة الاتجار بالبشر. (Naif Arab University (NAUSS).
2 الجدعاني، & حامد بن مده بن حميدان. (2015). السر الطبي بين الأطباء والفقهاء-دراسة تأصيلية تطبيقية. مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، 30(3)، 829-974.

3 عبد الظاهر، & محمد محمد. (2022). السياسة الجنائية لمواجهة الاتجار بالأعضاء البشرية دراسة تحليلية تأصيلية مقارنة في التشريعين المصري والفرنسي. مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، 8، 1-69.

4 مجمع الفقه الإسلامي <https://iifa-aifi.org/ar>

نص فتاوى العلماء والهيئات الإسلامية في الأخلاقيات الطبية

تؤكد الفتاوى الصادرة عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية أن الممارسة الطبية ينبغي أن تكون منضبطة بالأخلاق الإسلامية ومقاصد الشريعة، لا سيما مقصد حفظ النفس، الذي يعد من الضروريات الخمس، حيث جاء في أحد فتاوى اللجنة أن "الواجب على المريض السعي للعلاج وعدم الإهمال فيه إذا ترتب على تركه ضرر مؤكد أو موت، لأن النفس أمانة يجب حفظها، والشفاء بيد الله، ولكن الأخذ بالأسباب مشروع" (فتاوى اللجنة، م24، ص389). كما أكدت اللجنة في فتوى أخرى أن "الطبيب المسلم ملتزم شرعاً بحفظ حياة المريض، وعدم التسبب في أي أذى له، وأنه محاسب أمام الله عن كل تقصير أو خيانة للأمانة المهنية"⁵

وما يخص الأخلاقيات المهنية للطبيب، شددت اللجنة على أن "الأخلاق الإسلامية في العمل الطبي جزء لا يتجزأ من الدين، وعلى الطبيب أن يتعامل مع مرضاه برحمة وعدل وأمانة، ويتجنب استغلالهم مادياً أو نفسياً بأي صورة كانت" (فتاوى اللجنة، م24، ص421). وقد ربطت اللجنة بين مبدأ حفظ المال ومكافحة الغش والتلاعب في القطاع الصحي، مؤكدة على أن "أخذ الأجرة على العلاج يجب أن يكون بقدر الجهد والمصلحة، ولا يجوز المبالغة أو التلاعب بالأدوية أو الفحوصات لتحقيق الربح". أما في مجال التعامل مع النساء في الطب، فقد أفتت اللجنة بعدم جواز كشف المرأة وجهها أمام الرجال الأجانب إلا لضرورة طبية مُقدّرة بقدرها، كما في حالة تعليم الطب أو ممارسة العمليات الجراحية، وأكدت ضرورة الالتزام بالضوابط الشرعية في بيئة العمل المختلفة.

ومن جهة أخرى، أفتى الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بجواز السعي للعلاج وضرورة استخدام كل الوسائل المشروعة في التداوي، ما دام ذلك يحقق مقصود حفظ النفس، كما جاء في فتاواه أن "من الواجب على الأطباء أن يسعوا إلى تقديم الرعاية الوقائية والعلاجية للفقراء والمسنين دون تمييز، وأن تكافل المجتمع في المجال الطبي من فروض الكفاية" (الفتاوى العامة للاتحاد، قسم الطب والأدوية، 2021). أما دار الإفتاء الأردنية فقد أفتت بأن تنظيم النسل جائز إذا دعت الحاجة، وأن التداخلات الطبية المؤدية إلى قطع النسل (كالربط أو الاستئصال) لا تجوز إلا لضرورة طبية محققة، وقالت في فتوى منشورة: "إن حفظ النسل مقصد من مقاصد الشريعة، ولا يجوز تعمد الإضرار به إلا في حال تحقق الضرر المؤكد على حياة الأم أو استمرار المرض الوراثي"⁶

وبدوره، أكد مجمع الفقه الإسلامي الدولي أن الأصل في العلاج أنه مشروع، بل قد يكون واجباً إذا كان تركه يؤدي إلى الهلاك أو الضرر، كما في فتاويه المتعلقة بزراعة الأعضاء، أو التبرع بالدم، أو إجراء الإنعاش الصناعي، وقد نص على أن "الوسائل الطبية المستجدة يجب أن تُقوّم من خلال ميزان المصالح والمفاسد الشرعية، لا من خلال الأعراف الطبية وحدها"⁷

الإطار النظري والمنهجي

تعريف الأخلاقيات الطبية الحديثة ومبادئها الأربعة

في العصر الحديث، تُرسي الأخلاقيات الطبية معايير مقبولة تحمي المرضى وتُساعد الأطباء على اتخاذ قرارات عادلة تُناسب الجميع. وابتداءً من القرن العشرين، ازدادت أهمية هذا المجال بفضل الأفكار الغربية الليبرالية منذ الحرب العالمية الثانية وصياغة إعلان جنيف وإعلان هلسنكي. تسترشد هذه الأخلاقيات بأربعة مبادئ، وهي مُعتمدة في جميع أنحاء العالم على النحو التالي: الاستقلالية: بعد إطلاع المريض على صحته والعلاجات المتاحة، يُمكنه تحديد ما يُراعي قيمته الذاتية. ومع ذلك، توجد خلافات حول متى يجب احترام القرارات المستقلة، كما هو الحال في حالات الطوارئ أو عندما يفتقر الشخص إلى الفهم.

5 فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية. الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط1، 1423هـ، المجلد 24، ص 421. (فتوى حول الأخلاقيات المهنية للطبيب المسلم وضرورة الالتزام بها شرعاً).

6 الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. فتاوى عامة - قسم الطب والأدوية. نُشرت عبر الموقع الرسمي للاتحاد، تاريخ الوصول: مايو 2025. الرابط:

<https://iumsonline.org/ar>

7 دار الإفتاء الأردنية. حكم عملية ربط الأنابيب. رقم الفتوى: 968، تاريخ النشر: 2020م.

الإحسان: قاعدة تُلزم الطبيب بالعمل على ضمان سلامة المريض، إما بمعاملته معاملة حسنة أو بعدم فعل أي شيء يُسبب ضرراً.

عدم الإيذاء: تنص هذه القاعدة على أنه لا ينبغي للطبيب القيام بأي شيء يُضر بالمريض قال رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» (حديث حسن - رواه ابن ماجه والدارقطني) بما في ذلك الأخطاء. تُستخدم هذه القاعدة لتقييم الإيجابيات والسلبيات قبل بدء أي علاج طبي.

العدالة: هي توفير فرص متساوية للوصول إلى موارد الرعاية الصحية لجميع المرضى، دون تمييز. ويُنظر إليها على نطاق واسع في حالات زراعة الأعضاء وتحديد من يتلقى الرعاية المركزة. نظراً لأن هذه المبادئ قد تختلف أحياناً، فإن وجود لوائح كاملة، تماماً مثل الشريعة الإسلامية، أمر بالغ الأهمية.

مقاصد الشريعة الخمسة الكبرى وتطبيقاتها.

مقاصد الشريعة الإسلامية هي التفسير الأشمل لما تهدف إليه الشريعة الإسلامية. ويشمل هذا النهج ضمان المصلحة ودفع المفسدة باتباع نظام يبدأ بالحاجات الأساسية، ثم يتجه نحو الكماليات. هناك خمسة مقاصد رئيسية انفقت عليها المذاهب الفقهية الإسلامية⁸:

الحفاظ على سلامة الدين: دعم الإيمان الإنساني من الخضوع للضغط أو التجاهل. ومن الأمثلة على ذلك احترام ما يخفيه المرضى في عباداتهم، وعدم تقديم علاج يخالف معتقداتهم. حفظ النفس: انطلاقاً من ذلك، يمكننا توفير الرعاية الصحية للجميع، واستبعاد الإجهاض غير المبرر، والقتل الرحيم، والانتحار الطبي.

حفظ العقل: يركز على معالجة المشكلات النفسية، وضمان وجود قوانين تمنع الضرر النفسي الناتج عن المخدرات أو بعض الأدوية، مما قد يسبب قلقاً طبيياً.

حفظ النسل: يشمل المسائل المتعلقة بالزواج، والإخصاب، والتلقيح الصناعي، ومكافحة الأمراض الوراثية، مع احترام كرامة الأفراد.

الحفاظ على المال: يتناول هذا المحور عدم استغلال المرضى مالياً، وإدارة الموارد الطبية بحكمة، ومكافحة الفساد في الخدمات الصحية.

بفضل هذه الأهداف، تُعالج حالات الطوارئ الطبية بما يتوافق مع الأخلاق الإسلامية، ويواكب أحدث التطورات العلمية.

منهج المقاصد في استنباط الأحكام وبيان علل التشريع.

يُعدّ استخدام مبدأ المقاصد من أهم الطرق التي يستخدمها العلماء لمعالجة المشكلات القانونية المعاصرة. والهدف هو الانتقال من ظاهر النصوص إلى غاياتها الرئيسية، بحيث يُمكن ربط القانون بالأفعال المتخذة وأهداف الناس واحتياجاتهم. تعتمد هذه الطريقة على عدة جوانب مهمة منها⁹:

التحقيق في العلل: على سبيل المثال، يُساعد البحث عن الأسباب الرئيسية وراء الأحكام المختلفة، مثل حماية الناس أو دفع الضرر، على معرفة الإسلام وفهمه بشكل أكثر فعالية.

الموازنة بين المصالح والمفاسد: تُعدّ هذه فكرةً رئيسيةً في الأخلاق لأنها تُشجّعنا على تعديل الفتوى عند الحاجة، مثل تقديم علاجات تُشكّل خطراً ضئيلاً جداً على الضرر، ولكن لها نتائج إيجابية للغاية.

المرونة في التعامل مع المستجدات: من خلال العمل من خلال نهج المقاصد، يُكيّف الفقهاء القوانين الدينية مع التطورات الحديثة في الطب، بما في ذلك أمور مثل الطباعة الحيوية للأعضاء، والاستنساخ، والذكاء الاصطناعي.

الرجوع للكليات لا الجزئيات: لذا، ينبغي أن تتبع قواعد أخلاقيات الطب من مفاهيم المصلحة العامة في الشريعة الإسلامية، لا من مصادر محددة فحسب.

⁸ هبة مجيد أحمد. (2023). الضوابط الفقهية للعمل بمهنة الطب Jurisprudence Controls to Work in the Medical Profession. مجلة الاستنساخ، 1(03).

⁹ الجيوشي، & منى. (2024). لمحة تاريخية للمسئولية الطبية بين الشريعة والقانون A Historical Overview of Medical Responsibility. مجلة البحوث الفقهية والقانونية، 46(46)، 937-1001.

ونتيجة لذلك، يُفيد المنهج المقاصد في توجيه الممارسة الطبية من خلال الجمع بين التراث والتقدم، ومواءمة الممارسة مع الأحكام الواردة في الكتب.

تحليل تطبيقات الأخلاقيات الطبية في ضوء مقاصد الشريعة

حفظ النفس

آراء الشريعة الإسلامية حول الإجهاض، والقتل الرحيم، وتمديد فترة الإنعاش القلبي الرئوي. من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية ضمان بقاء الحياة، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 155]. وتكفل مجموعة من الأحكام الفقهية حماية الحياة البشرية من الهدر أو الانتهاك.

الإجهاض: لا يجوز الإجهاض في الشريعة الإسلامية بعد نفخ روح الجنين (120 يوماً من الحمل)، إلا إذا كانت حياة الأم في خطر. ويمكن الإجهاض في هذه الحالة عند وجود أسباب طبية مشروعة وضوابط صارمة. ويوضح ذلك ضرورة تحقيق توازن متساوٍ بين مصلحة الطفل ومصلحة الأم.

القتل الرحيم: يُعارض الدين الإسلامي جميع أشكال القتل الرحيم الإيجابي والسلبي. ورغم أن الحياة قد تبدو ملكاً للفرد، إلا أنها أمانة شرعية. إنهاء حياة مريض يعاني من الألم ينتهك الحق في الحياة، أيًا كان الغرض منه.

الإنعاش المستمر: يمكن إنهاء دعم الحياة للمرضى المتوفين دماغياً في الحالات التي لا أمل للشفاء فيها، وفقاً للقواعد الطبية الشرعية، إذا تأكد الأطباء من أن المريض قد تعرض لموت دماغي حقيقي. ويؤيد مجمع الفقه الإسلامي الدولي هذا القرار¹⁰.

مبدأ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح: ولأن حماية الناس قاعدة أساسية في الشريعة الإسلامية، فإن تجنب الضرر أولي من تحقيق مصلحة محتملة. يستخدم الأطباء هذه التقنية في حالات مثل: منع دواء مفيد من شأنه أن يسبب بالتأكيد مشاكل خطيرة في الأعضاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 155]. لا تُجرى عملية زرع الأعضاء عند الاشتباه في سرقة العضو أو الاتجار به، حتى لو كان ذلك قد ينقذ حياة المريض.

حفظ العقل

التعامل مع المرضى النفسيين: قد يكون المرض النفسي سبباً مشروعاً للنفقات الطبية، مما يعني أنه لا يحق للأطباء الشرعيين والسريريين اتخاذ قرارات متسارعة أو مهينة بشأن المريض. يجب أن يكون أي إجراء يُتخذ للمرضى النفسيين، مثل إجبارهم على العلاج أو الحبس، في مصلحتهم الفضلى، ولا ينبغي أن يُسبب لهم أي إهانة. تفرض الشريعة الإسلامية في أن يراقب مقدمو الرعاية الصحية والأسرة هؤلاء المرضى، وتؤمن بأن تقديم الرعاية الطبية لهم واجبٌ مشتركٌ على المجتمع¹¹.

رفض استخدام المواد الطبية التي تُضر بالعقل (مثل المخدرات غير المشروعة): تحرم الشريعة الإسلامية إعطاء الأدوية النفسية لأي شخص لأي غرضٍ سوى الاحتياجات الطبية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 90). ويشمل ذلك: المنشطات العقلية، المهدئات ذات التأثير الإدماني، إجراء عمليات تؤثر على الشخصية (بما في ذلك جراحات الدماغ للعلاج النفسي). إن أسباب هذه القواعد هي الحفاظ على عقلك واتباع القاعدة الطبية الرئيسية: لا ينبغي القيام بأي عمل قد يؤدي عقلك دون التأثير عليه بشكل إيجابي.

حفظ النسل

التلقيح الاصطناعي وأطفال الأنابيب: وجد العلماء أنه بشرط عقد الزواج وعدم الاستعانة بأخرى قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق: 5)، يُعتبر التلقيح الاصطناعي مشروعاً، على الرغم من

¹⁰ تهاني فرج الشاعث الكاسح، & الصالحين مسعود الصالحين عبد القادر. (2024). حكم نزع الأجهزة على المريض الميت دماغياً. مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP), 50-59.

¹¹ فاطمة حافظ. (2019). المفتي والتحديث: التقنيات الطبية الحديثة وأثرها على مرجعية الشريعة. 3(1)-1 Journal of Islamic Ethics, 128-152 (2).

أن معظم الهيئات الشرعية قد رفضته نظراً لخطر الانتباس فيما يتعلق بنسب الطفل وتوثيق نسبه. يتمتع النسل بحماية مجموعة من الضوابط الشرعية التي تنطبق على التقنيات الحديثة المستخدمة في الإنجاب¹². تحديد النسل: تجيز الشريعة الإسلامية للأزواج استخدام وسائل منع الحمل عندما يكون هناك احتمال أن يضر الطفل بحياة الأم أو يتسبب في مشقة في تربية الأطفال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: 8-9). لا ينبغي إجراء ربط الرحم أو الختان إلا لضرورة طبية ملحة، وعلى الزوجين الموافقة إن أمكن¹⁴¹³.

الموقف من الاستنساخ: يخشى علماء الشريعة من أن الاستنساخ ينتهك الطبيعة البشرية ويهدد الخصوصية، ولذلك يرونه محرماً. وتدور مناقشات كثيرة حول الاستنساخ العلاجي (للخلايا الجذعية)، وذلك لأنه لا ينبغي أن يؤدي إلى موت الجنين، في حين أن الاستخدام المقصود يجب أن يكون العلاج فقط¹⁵.

حفظ المال والعدالة في الرعاية الصحية

رفض الاستغلال التجاري للطب: تسعى الشريعة الإسلامية إلى حماية الناس من الاستغلال المالي، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة: 188)، قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (متفق عليه). ومع تطور الرأسمالية، لا يمكن للرعاية الطبية أن تكون سوى تجارة دون رعاية المرضى المتضررين. يجب على الأطباء المسلمين الوفاء بواجبهم شرعاً وتجنب إيذاء من يعالجونهم. بعض أشكال استغلال المرضى غير المقبولة منها¹⁶:

تضخيم أسعار الأدوية، إجراء الفحوصات دون سبب وجيه يرفع التكاليف. يعمل بعض الأطباء مع شركات التأمين أو الأدوية لزيادة الأرباح. وأي مغالاة في التربح على حساب الضعفاء تُعد ظلماً محرماً، ويندرج تحت أكل أموال الناس بالباطل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة: 188)¹⁷. توزيع الموارد الطبية بالإنصاف: لكي تتجعد العدالة، الهدف هو الحفاظ على الثروة عندما لا تكفي، كما في أوقات المرض أو الكوارث. التوزيع العادل للموارد الطبية (مثل أجهزة التنفس الصناعي، ووحدات العناية المركزة، واللقاحات) مبدأ ديني مهم، بغض النظر عن ثروة الشخص أو نفوذه الاجتماعي. يُعلم الإسلام أن العلاج يجب أن يكون بناءً على الحاجة، لا على ثروة الشخص. لا يجوز رفض علاج أي مريض بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته. يجب أن تُوزع أنظمة الرعاية الصحية بناءً على الموقع وعدد السكان.

المناقشات

تختلف الأخلاقيات الإسلامية المُسترشدة بالشرعية في الطب، فلسفياً وتطبيقياً، عن الأفكار الليبرالية أو العلمانية السائدة في الغرب. فبينما تتسم المبادئ الغربية بالمرونة وتتبع من العقد الاجتماعي والإيمان بالفرديانية، تحافظ المبادئ الإسلامية على أهداف ثابتة مستمدة من الشريعة الإسلامية، تُوازن بين اهتمامات الإنسان، مستخدمةً نظاماً موحىً به ومنطقياً، دون تجاهل المعرفة العلمية أو الطبية.

في النموذج الغربي، يُعد منح الناس الاستقلالية هو الأهم، حتى لو كان ذلك يعني تجاهل احتياجات المجتمع أو احترام القيم التقليدية، وهو ما تبرره القوانين التي تُجيز القتل الرحيم، أو تجيز الإجهاض إذا قرر الشخص ذلك، أو تُجيز التدابير الطبية التي تتجاهل الأخلاق والطبيعة البشرية. ولا يُرافق دعمه

¹² محمد محمد العزازي، & نسرين. (2025). الباروكة الطبية من منظور شرعي-دراسة فقهية مقارنة The Medical Wig from a Sharia Perspective-A Comparative Jurisprudential Study. مجلة كلية الشريعة والقانون بأسبوط، 37(3)، 846-924.

¹³ Hariz, A., & Ghali, K. (2021). Medical act regulations (a study in Islamic jurisprudence and man-made laws) made laws) (دراسة في الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية). Revue droit international et développement, 9(2), 598-618.

¹⁴ السلامة، & مرام. (2023). مشروعية الممارسة الصحية legitimacy of healthcare practice. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، 18(1)، 746-711.

¹⁵ أوهاب & نذير. (2023). Fatwa requirements and controls regarding medical modern Issues and it's basis. متطلبات الفتوى في النوازل الطبية وضوابطها ومستنداتها.

¹⁶ سليمان، & أسماء صالح علي محمد. (2024). الأمانة المهنية للطبيب في تحويل المرضى إلى مراكز الخدمات الطبية المساعدة من منظور شرعي

The Professional Integrity of a Physician in Referring Patients to Auxiliary Medical Service Centers: An Islamic Perspective. مجلة كلية الشريعة والقانون بأسبوط، 36(7)، 414-526.

¹⁷ القرآن الكريم والسنة النبوية.

للحرية الشخصية صورة عامة، بل يُميز بوضوح بين الجوانب البيولوجية للإنسان وجوانبه الأيديولوجية والنفسية والاجتماعية.

وخلافاً للنماذج الأخرى، تتوافق الحقوق الفردية والمصلحة العامة والحرية والانضباط في الإسلام، لأنها تتعكس في القواعد الخمس التي تهدف إلى حماية الحياة والعقل والدين والنسل والثروة. على سبيل المثال، يُحرّم الإضرار بالنفس بادعاء الحق، ولا يُعطى دواءً يُخالف الصالح العام بناءً على تفضيل شخصي. ونتيجةً لذلك، يُصبح النموذج الإسلامي منصفًا ومتوازنًا في توجيه الرعاية الصحية في المجتمعات الإسلامية.

بفضل مرونته المحكمة، يُمكن لهذا الإطار أن يُعالج قضايا اليوم دون المساس بقواعده الأساسية. إلى جانب توفير حلول فورية، يُتيح المقاصد أيضًا للخبراء في هذا المجال استخدام إطارٍ لاتخاذ خياراتٍ دقيقةٍ تحترم الكرامة الإنسانية وتحميها، كما هو الحال في زراعة الأعضاء، والإنعاش الاصطناعي، والطب الإنجابي.

ونتيجةً لذلك، يُمكن لنهج أخلاقيات الطب مع مقاصد الشريعة أن يُضيف قيمةً كبيرةً إلى المناقشات الدولية حول الأخلاقيات نظرًا لمنظوره المتوازن، وخلفيته الروحية، وبنيته المتكاملة. لذلك، يُمكن أن يكون هذا الموضوع مهمًا للمسؤولين وصانعي السياسات في جميع أنحاء العالم .

النتائج والاستنتاجات

أظهرت العديد من النتائج المهمة أن مبادئ الشريعة الإسلامية ينبغي أن تُشكّل الأخلاقيات الطبية المعاصرة. فرغم تنظيمها الجيد، إلا أن النظام التقليدي للأخلاقيات الطبية يفتقر إلى الشمولية، ويفتقر إلى دليل راسخ، ولا يفي بمعايير المجتمعات الإسلامية بقواعدها الفقهية الفريدة.

أظهرت المعلومات المستسقة من البحث أن الشريعة الإسلامية تتألف من خمسة مقاصد شاملة تشمل تحديد موقفها من التحديات الطبية الجديدة، وتنظيم الأنظمة الطبية، وتحقيق العدالة، وحماية كرامة الإنسان. وبشكل عام، يُعدّ تحريم الإجهاض والقتل الرحيم ضروريًا لأنه يهدف إلى إنقاذ الحياة، ومنع معاملة المرضى كأصول لحماية ثرواتهم، كما أن رفض بعض الممارسات ضروري لحماية العقل السليم.

ومن النقاط الرئيسية التي توصلت إليها الدراسة أن استخدام منهج المقاصد يُتيح توازنًا جيدًا بين أحكام الشريعة والتقدم العلمي. فهو يتجاوز الفهم الأساسي للقوانين، ويتناول أسباب نشوئها وما أفضت إليه. ولذلك، يُعدّ القانون ذا قيمة في المسائل الطبية، إذ يسمح للقضايا القانونية المعقدة، مثل تقنيات الإنجاب، والطب الوراثي، وإجراء التجارب، بدعم أهداف الشريعة. أشار البحث إلى أن اعتماد نموذج أخلاقي قائم على المقاصد يدعم بناء نظام رعاية صحية عادل يستجيب بكفاءة للتطورات الجديدة في هذا المجال، مع مراعاة خصائص الفرد المسلم. ولذلك، أصبح هذا النموذج معيارًا يُعتمد عليه في الدول الإسلامية، وكنموذج أخلاقي عالمي، يدعم التنوع الفكري في المجال الطبي.

الخلاصة

يستكشف هذا البحث العلاقة بين مقاصد الشريعة والأخلاقيات الحديثة في العلوم الطبية، في ظلّ التحديات الأخلاقية العديدة التي تواجه قطاع الرعاية الصحية في عالمنا المتسارع للتطور. ويُفترض أن مقاصد الشريعة الإسلامية، نظرًا لشموليتها وسهولة تغييرها، تُقدّم نموذجًا أخلاقيًا مناسبًا يُحاكي الممارسات الطبية المعاصرة دون التخلي عن أسسها الدينية والإنسانية.

بدراسة المبادئ الأخلاقية المطلقة ومقارنتها بالمقاصد العليا للشريعة الإسلامية (حفظ النفس والعقل والدين والأسرة والمال)، يُثبت الكتاب أن هذه المقاصد تُسهم في اتخاذ القرارات الطبية المتعلقة بالإجهاض والقتل الرحيم وزرع الأعضاء والطب النفسي وتقنيات الإنجاب الحديثة. ويُثبت الكتاب أن اتباع النموذج الإسلامي يُوازن بين حقوق الأفراد ومصالح المجتمع، وأن هذا النموذج يُمكن أن يتكيف مع التطورات الطبية من خلال منهج يجمع بين التعاليم الأصيلة والمصالح المُرتبطة بها والمنافع المُتحققة.

كشفت البحث أن الشريعة الإسلامية تهدف إلى إرساء أخلاقيات قوية للطب، مما يُمكن من تطوير نظام عادل، ويحمي كرامة الإنسان، ويُغني عن المراجع الغربية العامة. وأوصت خاتمة البحث بإضافة أهداف إلى المناهج الطبية، ومنح العاملين في مجال الرعاية الصحية شهادات قانونية، وتعزيز دور محاكم الرعاية الصحية.

التوصيات

بناءً على نتائج البحث التي تؤكد أهمية مقاصد الشريعة في تنظيم وضبط أخلاقيات الطب، تُقترح التوصيات التالية لتعزيز التطبيق العملي لهذا الإطار القيمي في مجال الرعاية الصحية:

❖ يُقترح أن تُدمج كليات الطب والعلوم الصحية مقاصد الشريعة في برامجها الأخلاقية والتشريعية ليتمكن الطلاب من ربط الأخلاقيات الحديثة بالأنظمة الإسلامية الراسخة. ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

- إدراج مقرر خاص بعنوان "الفقه الطبي ومقاصده".
- دمج المشكلات اليومية في الطب مع الدراسات التي تُلبي المقاصد المتعلقة بالشريعة.
- إشراك مستشارين من الشريعة والطب في التطوير المشترك للمواد التعليمية.
- التأكد من فهم الكوادر الطبية للمبادئ الشرعية للأخلاقيات.
- ❖ ينبغي تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية للأطباء والممرضين والمسؤولين الصحيين لمساعدتهم على فهم مبادئ الشريعة في ممارساتهم وتعليمهم تطبيق الانضباط الأخلاقي. ومن الأفضل:
- أن تُشرف شراكة بين هيئات الصحة وعلماء متخصصين على التدريب المشترك. وتغطي دراسات الحالة الجانب العملي والمفيد من اجراء الدراسة. تتم مقارنة المراجع المختلفة باستخدام أسلوب المناقشة المقارنة.

❖ دعم توجيهات الهيئات الشرعية في الطب

- تقترح الورقة مشاركة الهيئات الفقهية والمجالس الشرعية والمجامع الإسلامية من خلال تقديم آراء شرعية منضبطة حول المسائل الطبية المستجدة.
- إدراج لجان الفتوى الطبية الدائمة ضمن الهيكل الإداري في مؤسسات الرعاية الصحية الرئيسية.
- توفير الدعم المالي للمراكز التي تدرس القانون الموضوعي للنوازل الطبية.
- إشراك علماء الشريعة في لجان الأخلاقيات التي تُعنى بالمسائل الطبية المعقدة.

قائمة المصادر والمراجع

- محمد يحيى مطر وآخرون. الجهود الدولية في مكافحة الاتجار بالبشر. Naif Arab University (NAUSS).
- الجدعاني، & حامد بن مدّه بن حميدان. (2015). السر الطبي بين الأطباء والفقهاء-دراسة تأصيلية تطبيقية. مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، 30(3)، 829-974.
- عبد الظاهر & محمد محمد. (2022). السياسة الجنائية لمواجهة الإتجار بالأعضاء البشرية دراسة تحليلية تأصيلية مقارنة في التشريعين المصري والفرنسي. مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، 8، 69-1.
- مجمع الفقه الإسلامي <https://iifa-aifi.org/ar>
- فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الثانية.الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط1، 1423 هـ، المجلد 24، ص 421.(فتوى حول الأخلاقيات المهنية للطبيب المسلم وضرورة الالتزام بها شرعاً).
- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. فتاوى عامة – قسم الطب والأدوية. نُشرت عبر الموقع الرسمي للاتحاد، تاريخ الوصول: مايو 2025. الرابط: <https://iumsonline.org/ar>
- دار الإفتاء الأردنية. حكم عملية ربط الأنابيب. رقم الفتوى: 968، تاريخ النشر: 2020م. الرابط: <https://www.aliftaa.jo/Question.aspx?QuestionId=968>
- هبة مجيد أحمد. (2023). الضوابط الفقهية للعمل بمهنة الطب Jurisprudence Controls to Work in the Medical Profession. مجلة الاستئناس، 1(03).

- الجيوشي & منى. (2024). لمحة تاريخية للمسئولية الطبية بين الشريعة والقانون A Historical Overview of Medical Responsibility. مجلة البحوث الفقهية والقانونية, 46(46), 937-1001.
- تهاني فرج الشاعث الكاسح، & الصالحين مسعود الصالحين عبد القادر. (2024). حكم نزع الأجهزة على المريض الميت دماغيا. مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP), 50-59.
- فاطمة حافظ. (2019). المفتي والتحديث: التقنيات الطبية الحديثة وأثرها على مرجعية الشريعة. Journal of Islamic Ethics, 3(1-2), 128-152.
- محمد محمد العزازي، & نسرين. (2025). الباروكة الطبية من منظور شرعي-دراسة فقهية مقارنة The Medical Wig from a Sharia Perspective-A Comparative Jurisprudential Study. مجلة كلية الشريعة والقانون بأسسيوط, 37(3), 846-924.
- Hariz, A., & Ghali, K. (2021). Medical act regulations (a study in Islamic jurisprudence and man-made laws) دراسة في الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية). Revue droit international et développement, 9(2), 598-618.
- السلامة، & مرام. (2023). مشروعية الممارسة الصحية legitimacy of healthcare practice. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور, 8(1), 746-711.
- أوهاب & نذير. (2023). Fatwa requirements and controls regarding medical modern Issues and it's basis متطلبات الفتوى في النوازل الطبية وضوابطها ومستنداتها.
- سليمان & أسماء صالح علي محمد. (2024). الأمانة المهنية للطبيب في تحويل المرضى إلى مراكز الخدمات الطبية المساعدة من منظور شرعي The Professional Integrity of a Physician in Referring Patients to Auxiliary Medical Service Centers: An Islamic Perspective. مجلة كلية الشريعة والقانون بأسسيوط, 36(7), 414-526.
- القرآن الكريم والسنة النبوية.